دور السيرة النبوية

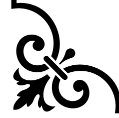
في رقي الأمم

للباحث الدكتور

عبد الرحمن إبراهيم حمد الغنطوسي

مدرس التاريخ الإسلامي

كلية التربية /الجامعة الإسلامية



﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾ (الجمعة:٢).

صدق الله العظيم

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد.. فإن لسيرة الرسول العربي محمد صلى الله عليه وعلى آل بيته وسلم أهمية بالغة، وأثراً كبيراً في حياة الأفراد والجماعات والأمم، فأنها بلا ريب أوضح سيرة في التاريخ البشري وأكثرها شهرة وتناولها الحُداث في شتى العصور وأثرت بالأجيال المترادفة عبر الزمن، وكل باحث فيها لا يأتي بجديد سوى التقييد بها والتزامها كدستور مترامي الأطراف فيها من العبر والمواعظ تكاد تكون كافية لمن اراد التمتع بكل ما وهب الله في الدنيا من محسوسات وهي سبب النجاة في الدنيا والآخرة أسوة حسنة جسدها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم .

ويقول وهو الحق: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ (الأحزاب:٢١) كانت وما زالت سبب للسعادة في الدنيا والآخرة، فهي من عوامل النجاح للفرد والجماعة سواء أكانوا من العرب المسلمين أم من الغرب العالميين، و تُعَدُ رافداً مهماً من روافد نهضة الأمم في القديم والحديث على حدٍ سواءٍ، فالأمم عامة قد دانت لأمة العرب الإسلامية عندما كانت متمسكة بأخلاقها وسيرة نبيها الكريم صلى الله عليه وسلم، ومن الواضح ان تلك الامم والشعوب قديما قد اعتنقت الإسلام متاثرة بالسيرة النبوية الشريفة وسيرة الصحابة. يُبنى على عاتق شباب الاسلام في العصر الحديث التقيد بهذه السيرة المعطاء الخالدة، والالتزام بها وعدم الانخراط بمدمرات الاخلاق ومحبطات الاعمال التي تُنسينا انفسنا وهويتنا وقد حذرنا الله جل جلاله من ذلك فيقول:﴿وَلا تَكُونُوا

كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (الحشر:١٩) فهؤلاء الشباب سبب نهوض الأمة وعزتها ورفعتها، وعليهم ان يأخذوا بألاسباب، وجملة هذه الاسباب تكمن في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم و بالحث عليها والترغيب فيها لان العالم اليوم يُخيم عليه الكذب والظلم والجفاء، والشح والكبر والحسد، وسوء الظن وبذاءة اللسان، وغيرها من الأمراض التي أثقلت كاهل المسلمين، وشوهت معالم صورتَه الوضاحة التي غزت العالم في الوقت الذي كان يعش في بحر الظلام والتخلف والانحطاط وفقدانه لمعايير الاتزان والاستقرار والحكمة .

تضمنت هذه الدراسة من مقدمة وخمسة مباحث مع خاتمة لهذه الدراسة واهم الاستنتاجات التي تمخضت عنها. احتوت المقدمة: مشكلة البحث وأهميته التي تكمن في تأثير السيرة النبوية على المسلم خاصة وعلى غيره عموما فتُعَدُ مصدراً مهماً متجددا للفكر الإسلامي الذي يُعَبِّر بصدق عن روح القرآن الكريم وشريعته المترامية الأطراف، وعن المواعظ والعبر والمقاصد التي تخص الإنسانية جمعاء ، لأنها كما هو معلوم تجسيداً للقيم الإسلامية الحقيقية، وتلقي ألضوء على أمور عدة قد يحتاجها القاضي والفقيه والباحث لمعرفة الغايات التي أشار إليها القرآن الكريم. فضلا عن ذلك فإن لدراسة السيرة النبوية تزيد من إثارة المشاعر النبيلة التي تكمن وتخيم في روحية المسلمين كلهم وتحفزهم للاحتفاظ بالقيم العليا التي نادى بها الرسول الكريم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وتمنع الأفكار التي تسود بعض الأمم الراغبة للنيل بعقيدة المسلمين، فهي إذن مضاد حيوي وفكري وجدار ذو قوة وصلابة تحصنهم من عاديات الزمن الحاقدة المترصدة في كل حين وآخر .

وأهدافه المستنبطة من تلك الأهمية. وحدوده التي نشأت من عهد النبي محمد

صلى الله عليه وسلم وأصحابه الغر الميامين ومرورا بأهل بيته الأطهار وصولا إلى مغارب الأرض ومشارقها في كل زمان ومكان. وتحديد أهم المصطلحات التي وردت فيه. بينما حمل المبحث الأول عنوان: موجز من سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم .بينما حمل المبحث الثاني عنوان: قبس من نور السيرة النبوية الشريفة . على ان المبحث الثالث حمل عنوان: سير الصحابة رضوان الله عليهم على نهج النبي محمد صلى الله عليه وسلم في حين حمل المبحث الرابع عنوان: نقباء الأنصار وأسمى أنواع الحرية (الديمقراطية الحديثة)، واخيرا وليس آخرا فان المبحث الخامس حمل عنوان: شهادة أهل الغرب بعظمة سيرة محمد صلى الله عليه وسلم .

وأخيرا وليس آخرا فقد اختتم الباحث هذه الدراسة بالخاتمة التي تضمنت النتائج التي أسفرت عنها، واهم الاستنتاجات ومن ثم أهم المصادر والمراجع التي استندت عليها. وردت في هذه الدراسة كلمة دور ومن مقومات مناهج البحث ينبغي تحديدها من قبل الباحث فيكون معناها في اللغة: دَارَ الشيءُ يَدُورُ دَوْراً ودَوَرَاناً ودُؤُوراً واسْتَدَارَ وأَدَرْتُه أَنا ودَوَّرْتُه وأَدَارَه غيره ودَوَّرَ به ودُرْتُ به وأَدَرْت اسْتَدَرْتُ، ودَاوَرَهُ مُدَاوَرَةً ودِوَاراً: دَارَ معه ويقال: دَارَ دَوْرَةً واحدةً، وهي المرة الواحدة يدُورُها. والدَّوْرُ قد يكون مصدراً في الشعر ويكون دَوْراً واحداً من دَوْرِ العمامة[1].

بيد ان معناها في الاصطلاح (الدور)، في المنطق هو علاقة بين حدين يمكن تعريف كل منهما بالآخر، أو علاقة بين قضيتين يمكن استنتاج كل منهما من الآخر،أو علاقة بين شرطين يتوقف ثبوت احدهما على الآخر.

فالدَور إذن هو توقف كل واحد من ألشيئين على الآخر وينقسم إلى دور علمي، ودور إضافي أو معي ،ودور مساو. فالدور العلمي هو توقف بكل من المعلومين على

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم المصري الافريقي(ت٧١١هـ/ ١٣١١م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، { ب . ت }، باب(دور).

العلم الآخر. والدور الإضافي أو المعي هو تلازم الشيئين في الوجود بحيث لا يكون احدهما إلا مع الآخر، والدور المساوي هو توقف كل من المتضايفين على الآخر[1].

وختاما فان هذه السيرة الشريفة لم تقف على هذا الأمر بل استقطبت أفكار العلماء والمفكرين والساسة لتلك الأمم فبدلا من إن يقضوا على خيوطها الذهبية النابتة في بطون التواريخ الخالدة فإنهم قد آمنوا بها واستطعموها وصدقوها لاعن كره أو خوف (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (البقرة:٢٥٦) بل عن طريق البحث والتمحيص والعلم (... إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) (فاطر:٢٨) .

وان خير الأمثلة على ذلك تلك الشهادات التي يعتز بها التاريخ مهما اتسع أو طال قد أشادت بها هذه الدراسة من الإشارة إلى بعض الآراء المنصفة والتي كان لها دورا رياديا في استنباط دروس ومواعظ وعبر قد خلدتها سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين عبر الزمن.



(١) صَليبا، جميل ،المعجم الفلسفي(بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية)،ج١،دار الكتاب اللبناني،بيروت،لبنان،١٩٨٢ م، ص٥٦٦ ـ٥٦٧.

المبحث الأول

موجز من سيرة النبي محمد ﷺ

نسبه الشريف صلى الله عليه وسلم:

وُلد محمد صلى الله عليه وسلم بمكّة، في يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، في العام الـذي أهلك اللهُ تعالى فيه جيشَ أبرهة الحبشي الذي اسـتصحب معه فيل ضخم كان عازماً على هدم الكعبة المشرّفة، فأهلكه الله تعالى على مشارف مكّة، قبل تحقيق هدفه. و ذلك في عام (٥٧٠م)، وسمي بعام الفيل[(١)].

وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشـم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بـن مـرة بن كعب بن لأي بن غالب بن فهـر (قريش)، بن مضر ثمّ إلى عدنان من ولد إسماعيل عليه الصلاة والسلام[(٢)].

قـال رسـول الله صلى الله عليـه وعلى آله وسـلم: « **إِنَّ اللهَّ اصْطَفَى كِنَانَـةَ مِنْ وَلَدِ إِسْـمَاعِيلَ وَاصْطَفَى قُرَيْشًـا مِنْ كِنَانَـةَ وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِى هَاشِـمٍ واصطفاني مِنْ بَنِى هَاشِمٍ**[(٣)]».

---

(١) ابن سـعد، طبقاتـه، ج١،ص١٠٠-١٠١. الاصبهاني، دلائل النبـوة،ج١،ص٧٥. ابن كثير، البدايـة والنهاية،ج٢،ص٢٦٠. علي، سـيد امير، مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسـلامي،ط١، تر: رياض رأفت، دار الافاق العربية، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م،ص٧.

(٢) (ابن هشـام،ابو محمد عبد الملك، سـيرة النبي صلى الله عليه وسلم، المجلد الأول،ج١،تحقيق: مجـدي فتحي السـيد،إشراف: الدكتور فتحي أنـور الدابولي، الناشر: دار الصحابـة للتراث بطنطا للنشر والتحقيق والتوزيع،ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م، ص٢٠٨).

(٣) صحيح مسلم،ج٧،ص٥٨.

كان عبـد منـاف جد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسـلم ،كان لـه عشر من الولد أربعة على المشهور منهم هاشم، والمطلب، وعبد شمس ونوفل فرسولنا صلى الله عليه وعلى آله وسـلم يرجع نسـبه إلى هاشم، و اسـمه عمرو ولقب بهاشم لأنه كان يهشم الخبز أي يكسره ويقطعه ويقدمه للحجاج. وهو أول من أطعمه للحجاج، وهو يُعَدُ كذلـك أول من سـنّ الرحلتين لقريش رحلة الشـتاء والصيف. اختـاره الله تعالى من أفضل بيوت العرب وأعزّها وأشرفها، لما يتميّزون به من كرم النسب[1].

وُلـد صـلى الله عليه وسـلم يتيماً، حيث إن أباه كان قد تُـوفّي وهو لا يزال جنينا في بطن أمه فكفله جدّه عبد المطلب[2]. الذي كان سيدّ العرب. وبعد ستّ سنين من عمره توفِّيت أُمَّه آمنة بنت وهب وكفله عمُّه أبو طالب، بعدما توفي جده فنشأ في كنف عَمّه أبي طالب، ورعى الغنم صغيراً، ثم عمل لّما شبَّ مع عمِّه في التجارة. وكانت قد ظهرت له من حين مولده إلى حين بلوغه سنَّ الرجولة دلائلُ كثيرةٌ تدلّ على عناية ربّه عـز وجل به، وعلى حياطته له وحِفْظه وتأديبه. واشـتُهر بين قبيلته (قريش)، وغيرها بمكانـةٍ مرموقة سـامية، وعرفوه بعظيم بركته، وجميل صفاته، ومحاسـن أخلاقه: من الصدق، والأمانة، والعَدْل، وكمال الرجولة، وسداد الرأي، ورجاحة العقل.[3]

ايـد الله سـبحانه وتعـالى محمـد صلى الله عليه وسـلم بالرسـالة الاسـلامية الى امـة العـرب، وهي امة لها ميزاتهـا وخصائصها الطيبة، وهـذه الميزات، والخصائص

---

(١) (ابن هشـام،ابو محمد عبد الملك، سـيرة النبي صلى الله عليه وسلم، المجلد الأول،ج١،تحقيق: مجـدي فتحي السـيد،إشراف: الدكتور فتحي أنـور الدابولي، الناشر: دار الصحابـة للتراث بطنطا للنشر والتحقيق والتوزيع،ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م،ص١٩٧)

(٢) (ابن هشـام،ابو محمد عبد الملك، سـيرة النبي صلى الله عليه وسلم، المجلد الأول،ج١،تحقيق: مجـدي فتحي السـيد،إشراف: الدكتور فتحي أنـور الدابولي، الناشر: دار الصحابـة للتراث بطنطا للنشر والتحقيق والتوزيع،ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م، ص٢٢٠وما بعدها).

(٣) الاصبهاني،دلائل النبوة،ج٢،ص٣٠ . ابن كثير، البداية والنهاية،ج٢،ص٢٨٦.

على قدر ما في عقولها من قوة، وما في نفوسها من ثقة، وما في طباعها من اعتداد وانفة واباء قد كانت وما زالت موضع عناية الخالق الباريء اذ اراد ان يتمم مكارم اخلاقها ببعثه صلى الله عليه وسلم اليها[1]، وهذه (كُلّهَا مِنْ وَلَدِ إسْمَاعِيلَ وَقَحْطَانَ)[2] ، وكلفها بقيادة العالم الدنيوي قاطبة، فسخر لها كل مقومات الحياة، و التطور، والازدهار من حيث الموقع الذي يحتل القلب في سطح الارض، وكثرة الانهار، والاشجار، والانعام[3]، من هذه البقعة المباركة انبثقت اعظم الحضارات واجلها مما عرفها العالم في التأريخ البشري، وهي الامبراطوريات الساميات الاربع، الاكدية، والبابليةوالآشورية، والكلدانية.

فكانت الجزيرة العربية وما زالت بحق مهد الحضارات السامية بدون ادنى شك[4] فمنها انبثقت العلوم كافة والمعالم الحضارية ذات الفنون المتميزة إلى أنحاء عديدة لأمم الأقاليم المختلفة فاقترفت من سيل هذه الحضارة ساعدها على ذلك موقع ارض العرب الذي يتوسط العالم قد ساعده على ذلك طرق المواصلات اليسيرة البحرية منها والبرية على حدٍ سواءٍ[5].

---

(١) الدجيلي،، عبد الصاحب عمران،الام العرب في الفنون والعلوم، ط٢،مطبعة النعمان ـ النجف ،١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م،ص٢٣.

(٢) سيرة ابن هشام ،ج١،ص٧.

(٣) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي، بيروت، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م ، ص ١٠٥ وما بعدها.

(٤) سوسه،احمد،العرب واليهود في التأإريخ(حقائق تاريخية تُظهرها المكتشفات الأثرية)،وزارة الإعلام،مديرية الثقافة العامة، دار الحرية للطباعة(مطبعة الحكومة)،١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ص١١١وما بعدها.

(٥) فرشوخ، محمد أمين، موسوعة عباقرة الإسلام في العلم والفكر والأدب والقيادة،ج١، دار الفكر اللبناني، ١٩٩٦م ،ص٨.

نبي الرحمة محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم للعالم اجمع مبشرا ونذيرا كما قال جلَّ مَنْ قال: ((**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً**))[١]، وكما قال عن نفسه صلى الله عليه وسلم: (**أنا رحمة مهداة**)[٢]، وهو بلا ريب يتحلى بكل سمات القيادة لكل القوميات والاجناس[٣].

❊ ❊ ❊

(١) الفرقان:١.

(٢) سنن الدرامي ،ج١،ص ٣٨ .

(٣) القرطبي ،ابي عبد الله محمد بن احمد الانصاري، الجامع لاحكام القران،،ج٤، أعاد طبعه دار احياء التراث العربي بيروت - لبنان ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م ،ص٦٣.

المبحث الثاني

قبس من نور السيرة النبوية الشريفة

تميزت سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم بوضوحها وإنسانيتها وبساطتها وشموليتها[1] فقد تجسدت هذه لتخص كل الموجودات التي خصها الله سبحانه وتعالى ابتدءا من الإنسان الذي يُعدُ لولب الحياة كما خصه تبارك وتعالى بهذا التكريم حيث يقول:(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)[2]، وانتهاءها بالمفردات الأخرى لتلك الموجودات التي فطرها الخالق تبارك وتعالى على الأرض برمتها[3].

ابتدأت هذه السيرة بما عكسته صفات النبي صلى الله عليه وسلم من مكارم الأخلاق وحسنها كما قال الله تعالى وتبارك:(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم:٤)، عن أنس رضي الله عنه قال «كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقًا»[4]، وعن صفية بنت حيي رضي الله عنها قالت: (ما رأيت أحسن خلقًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم)[5]، كانت أخلاقه صلى الله عليه وسلم مشتملة من القرآن الكريم، و قالت عائشة رضي الله عنها لما سئلت رضي الله عنها عن خلق النبي عليه الصلاة والسلام،

---

(١) (المطلبي،أبو عبد الله محمد بن اسحاقبن يسار، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ،ج٢، حقق اصلها: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: مكتبة محمد علي صبيح واولاده بميدان الازهر بمصر، مطبعة المدني ٦٨- شارع العباسية - القاهرة، ١٣٩١هـ- ١٩٧١م،ص٢٨٦.

(٢) الإسراء: ٧٠.

(٣) (الطبري، التاريخ،ج٢،ص٢٩٨)،(الطبري، التفسير،ج٣٠،ص١٦١).

(٤) (صحيح البخاري،ج١٥،ص٤٦٥).

(٥) (المعجم الاوسط،ج٦،ص٣٤٤).

قالت (كان خلقه القرآن)[1] ، ومعنى هذا أنه صلى الله عليه وسلم صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجيةً له وخلقاً، فمهما أمره القرآن فعله ومهما نهاه عنه تركه، هذا ما جبله الله عليه من الخُلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خُلقٍ جميل، عن عطاء رضي الله عنه قال: قلت لعبد الله بن عمرو أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة، قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا[2] عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: ((البر حسن الخلق ..))[3] حسن الخلق أي حسن الخلق مع الله، وحسن الخلق مع عباد الله، فأما حسن الخلق مع الله فان تتلقي أحكامه الشرعية بالرضا والتسليم، وأن لا يكون في نفسك حرج منها ولا تضيق بها ذرعا، فإذا أمرك الله بالصلاة والزكاة والصيام وغيرها فإنك تقابل هذا بصدر منشرح.

أما حسن الخلق مع الناس فقد سبق أنه كف الأذى والصبر على الأذى، وطلاقة الوجه وغيره. على الرغم من حُسن خلقه حيث كان يدعو الله بأن يحسّن أخلاقه ويتعوذ من سوء الأخلاق صلى الله عليه وسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت «كان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم كما أحسنت خلقي فأحسن خلقي»[4] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان صلى الله عليه وسلم

(١) (مسند احمد، ج٤١،ص١٤٨).

(٢) (مسند احمد، ج١١،ص١٩٣) .

(٣) (سنن الترمذي،ج٤،ص٥٩٧).

(٤) (شعب الايمان،ج٦،ص٣٦٤) ،(مسند احمد،ج٤٠،ص٤٦٥).

يدعو فيقول «اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق»[1] كان صلى الله خير الناس وخيرهم لأهله وخيرهم لأمته من طيب كلامه وحُسن معاشرة زوجته بالإكرام والاحترام، حيث قال عليه الصلاة والسلام: ((خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي))[2] وكان من كريم أخلاقه صلى الله عليه وسلم في تعامله مع أهله وزوجه أنه كان يُحسن إليهم ويرأف بهم ويتلطّف إليهم ويتودّد إليهم، فكان يمازح أهله ويلاطفهم ويداعبهم، وكان من شأنه صلى الله عليه وسلم أن يرقّق اسم عائشة رضي الله عنها كأن يقول لها: (يا عائش)[3]، ويقول لها: (يا حميراء)[4] ويُكرمها بأن يناديها باسم أبيها بأن يقول لها: (يا ابنة الصديق)[5] وما ذلك إلا تودداً وتقرباً وتلطفاً إليها واحتراماً وتقديراً لأهلها. كان يعين أهله ويساعدهم في أمورهم ويكون في حاجتهم، وكانت عائشة تغتسل معه صلى الله عليه وسلم من إناءٍ واحد، فيقول لها: (دعي لي)، وتقول له: دع لي[6]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم[7]، عن عائشة رضي الله عنها قالت «خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال للناس: اقدموا فتقدموا، ثم قال لي: تعالي حتى أسابقك فسبقته، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: تقدموا فتقدموا، ثم قال

---

(١) (سنن أبو داود،ج١،ص٤٨٢)(سنن النسائي،ج٨،ص٢٦٤).
(٢) (حلية الاولياء،ج٧،ص سنن الترمذي ،ج٥،ص٧٠٩).
(٣) (صحيح مسلم،ج٣،ص٦٤).
(٤) (السنن الصغرى،ج١، ص٦٧).
(٥) (مسند الحميدي،ج١،ص١٣٢).
(٦) (سنن النسائي الكبرى،ج١،ص١١٧).
(٧) مسند أحمد،ج٤١،ص٣٩٠).

لي: تعالي أسابقك فسبقني، فجعل يضحك وهو يقول هذا بتلك»[1] ومن دلائل شدة احترامه وحبه لزوجته خديجة رضي الله عنها، إن كان ليذبح الشاة ثم يهديها إلى خلائلها (صديقاتها)،[2] وذلك بعد مماتها وقد أقرت عائشة رضي الله عنها بأنها كانت تغير من هذا المسلك منه كان عدله صلى الله عليه وسلم وإقامته شرع الله تعالى ولو على أقرب الأقربين. قال عليه الصلاة والسلام في قصة المرأة المخزومية التي سرقت: (والذي نفسي بيده لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها)[3].

وكان صلى الله عليه وسلم يحمل ابنة ابنته وهو يصلي بالناس إذا قام حملها وإذا سجد وضعها وجاء الحسن والحسين وهما ابنا بنته وهو يخطب الناس فجعلا يمشيان ويعثران فنزل النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملهما حتى ووضعتهما بين يديه ثم قال صدق الله ورسوله(وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) (لأنفال:٢٨) نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان فيعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما[4] ومع هذه الشجاعة العظيمة كان لطيفا رحيماً فلم يكن فاحشاً ولا متفحشا ولا صخاباً في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: (بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَه مَه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تزرموه، دعوه)، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له: (إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر، إنما هي لذكر الله، والصلاة،

(١) مسند أحمد،ج٤٣،ص٣١٣).
(٢) (صحيح مسلم،ج٧،ص١٣٣).
(٣) (سنن النسائي،ج٨، ص٧١).
(٤) (سنن النسائي الكبرى،ج١،ص٥٥١).

وقراءة القرآن) قال: فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشنّه عليه[1].

وكان صلى الله عليه وسلم يجيب دعوتهم دعوة الحر والعبد والغني والفقير ويعود المرضى في أقصى المدينة وكان أبعد الناس عن الكبر، كيف لا وهو الذي يقول صلى الله عليه وسلم: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبدٌ فقولوا عبد الله ورسوله)[2]. كيف لا وهو الذي كان يقول صلى الله عليه وسلم: (آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد)[3].

وقال صلى الله عليه وسلم (لو أُهدي إليَّ كراعٌ لقبلتُ ولو دُعيت عليه لأجبت)[4].

ومن صبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه عندما اشتد الأذى به جاءه ملك الجبال يقول: يا محمد إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا[5].

والأخشبان: جبلا مكة أبو قبيس وقعيقعان. فأكمل المؤمنين إيماناً بالنبي صلى الله عليه وسلم، وأعظمهم اتباعا، له وأسعدهم بالاجتماع – معه: المتخلقون بأخلاقه المتمسكون بسنته وهديه، قال صلى الله عليه وسلم: ((أنا زعيم ببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه))[6].

وقال صلى الله عليه وسلم: ((إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا))[7]. وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن

(١) صحيح مسلم،ج١، ص١٦٣).
(٢) مسند احمد،ج١،ص٣٠٢ .
(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى،ج١،ص٣٧١ ، شعب الايمان،ج٥،ص١٠٧ .
(٤) سنن الترمذي ،ج٣،ص٦٢٣.
(٥) صحيح مسلم،ج٥،ص١٨١
(٦) مسند الروباني،ج٢، ص٢٧٩ .
(٧) سنن الترمذي،ج٤،ص٣٧٠ .

مـن خياركم أحسـنكم خلقـا)). قال عليه الصلاة والسـلام: ((ما مـن شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسـن؛ وإن الله يبغض الفاحش البذيء))[1]. وفي روايـة: ((وإن صاحب حسـن الخلـق ليبلغ به درجة صاحب الصـوم والصلاة))[2]. وقال صلى الله عليه وسـلم: ((أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لأهله))[3]. وفي رواية: ((لنسائهم)).[4]

❊ ❊ ❊

(١) شعب الايمان،ج٦،ص٢٣٨ .
(٢) سنن الترمذي،ج٤،ص٣٦٣ .
(٣) مسند احمد بن حنبل،ج٢،ص٢٥٠ .
(٤) السلسلة الصحيحة ،ج١، ص٥١١ :حديث(٢٨٤).

المبحث الثالث

سير الصحابة رضوان الله عليهم

على نهج النبي محمد صلى الله عليه وسلم

لم يشذ اصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم هم خير القرون، وأفضل الأمة، وأكملُ المؤمنين، اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم فرضي عنهم ورضوا عنه فهم كما قال تعالى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْأَنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً)[1].

ومن أروع قصص الصحابة ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أصابني الجَهدُ. فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ألا رجل يُضيْفهُ الليلة يرحمه الله ؟)) فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله. فذهب إلى أهله فقال لامرأته: ضيف رسول الله لا تدخريه شيئاً، فقالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية. قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنِّوميهم وتعالي فأطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة ففعلت، ثم غدا الرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ((لقد عجب الله عز وجل - أو ضحك- من فلان وفلانة))، ونزلت الآية: (وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْأِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا

---

(١) الفتح:٢٩.

أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (الحشر ٩)[١].

ومن الشواهد الاخرى هذه القصة بين عينيةُ بن حصن وعمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما قال عينة لابن الخطاب: هي يا ابن الخطاب فوا الله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى همَّ به، فقال له الحُرُّ بن قيس: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)الأعراف ١٩٩، وإن هذا من الجاهلين والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله[٢].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (دعتني أم حبيبة عند موتها فقالت: قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضرائر فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك، فقلت: غفر الله لك ذلك كلَّه وحللَّك من ذلك، فقالت: سررتني سَّرك الله، وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك «[٣].

هـذه بعض الشواهد عن بعض من قصص الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وهي غيض من فيض قدر رسمت للانسانية كلها اسس الحياة وانتظامها وكسب رضوان الله جل جلاله في نشر الخير والامانة والصدق ولو كان الثمن الحياة، هذه هي سيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم واصحابه واهل بيته الاطهار رضي الله عنهم[٤].

---

(١) صحيح البخاري ،ج١٢،ص١٩٢.

(٢) صحيح البخاري،ج١١،ص٢٨٤ .

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى،ج٨،ص١٠٠ سير أعلام النبلاء ج ٢،ص٢٢٣.

(٤) (حمزة عبد اللطيف،الاعلام في صدر الاسلام،ط٢، دار الفكر العربي،١٩٧٨م،ص٢٢٤. كذلك: الصَّلاَّبيَّ، علي محمد محمد، السيرة النبوية (عرض وقائع وتحليل احداث / طبعة كاملة

لقد راعى النبي الكريم صلى الله عليه وسـلم جملة من المبادئ التربوية الكريمة التـي كانـت غايـة في السـمو الخلقـي والكـمال العقـلي، وضرب الأمثـال للعالمـين أجمعـين، وذلك في تعليقه على ما صدر من بعض الصحابة، جعلت التوجيه يسـتقر في قلوبهـم وبقـي ماثلا أمام بصائرهـم، لما ارتبط به مـن معانٍ تربويـة كريمة وهذه المبـادئ الرفيعة التي اسـتعملها النبي صلى الله عليه وسـلم إن هـي إلا دليلا صادقا على صدق العقيدة التي خصها الله سـبحانه وتعالى لهـذه الأمة العظيمة التي خصها دون غيرهـا من الأمـم و من خلالها وخلال نبيها الكريـم وصل الأمن والأمان إلى أقصى مكان ولكل إنسـان .



في مجلـد واحد)،ج١،راجعـه لغويا:عـادل شوشـة، مكتبـة فيـاض للتجـارة والتوزيع،١٤٢٨هـ ،٢٠٠٧م،ص٥٢٨.

المبحث الرابع

نقباء الأنصار وأسمى أنواع الحرية

(الديمقراطية الحديثة)

لم يكن اختيار النبي محمد صلى الله عليه وسلم لنقباء من الانصار(الأوس والخزرج)،[1] كممثلين لهم عن عدم دراية أو عبثاً بل ليكونوا مسئولون عن سير الدعوة في المدينة و عن أحوال المسلمين هناك يوضح مدى اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بأمر الفرد و أحواله وانه يأتي ضمن أولويات الجماعة المسلمة. و على النقباء فى كل زمان ومكان استشعار حجم المسئولية الملقاة على عاتقهم وعلى القيادة تحرى الدقة عند الشروع بمثل هذا الاختيار، وبهذا فقد جسد النبي محمد صلى الله عليه وسلم معنى الحرية الفردية (الديمقراطية الحديثة)، كما يطلق عليها علماء السياسة في العصور الحديثة، وينبغي على عاتق كل الامم التي تود الارتقاء والتطور الاقتداء بسيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي لم يعين النقباءَ إنما ترك طريق اختيارهم إلى الذين بايعوا، فإنهم سيكونون عليهم مسئولين وكفلاء، والأولى أن يختار الإنسان من يكفله ويقوم بأمره، وهذا أمر شوري وأراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن

---

(١) تنسب قبيلتا الاوس والخزرج الى الأزد القحطانية ،وهم الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن أمرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد وهو (أُدد) بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ،وهو (عامر) ،وعبد شمس) بن يشجب بن يعرب بن قحطان .ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا(وآخرون)، مطبعة مصطفى البابي، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م، ج١، ص٣. السمهودي، نور الدين علي بن احمد، وفاء الوفاء باخبار دار المصطفى، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العامية، بيروت-لبنان، {ب. ت}، ج١ ص١٦٥.

يمارسوا الشورى عمليًّا من خلال اختيار نقبائهم.

رأى النبي محمد صلى الله عليه وسلم بعينيه الثاقبتين نضوج الأنصار نضجًا كافيًا يجعلهم أهلاً لإدارة أمورهم بأنفسهم، و يمهدوا لاستقباله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المهاجرين، ولتكون العاصمة الأولى لدولة الإسلام (يثرب)[1]، المدينة المنورة، ففى بيعة العقبة الثانية أقر صلى الله عليه وسلم قاعدة عظيمة من قواعد الحكم في الإسلام وهي قاعدة الانتخاب، على الشعب أن ينتخب ممثليه انتخابًا حقيقيًّا ليس فيه تدخل من القائد الأعلى، ولا من أتباع القائد الأعلى، وتجسد ذلك بقوله صلى الله عليه و سلم للأنصار «أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيبًا ليكونوا على قومهم بما فيهم». فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبًا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس. فقال لهم رسول الله عليه الصلاة والسلام: أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومي.فقالوا: نعم.[2]

لقد اختار الأوس والخزرج ممثليهم لأول مرة في تاريخهم وجلسوا يختارون حكومة ائتلافية، كانوا من قبل يتصارعون ويتقاتلون ويذبح بعضهم بعضًا، ووضعوا أيديهم على أكتاف بعضهم البعض، يختارون حكومة شرعية للمدينة المنورة، قائد

---

(١) هي مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وهي في حرة سبخة مقدار نصف مكة. من خصائصها أن من دخلها يشم رائحة الطيب وللعطر فيها فضل رائحة لم توجد في غيرا وأهلها أحسن الناس صوتاً. قيل لبعض المدنيين: ما بالكم أنتم أطيب الناس صوتاً فقال: بها التمر الصيحاني لم يوجد في غيرها من البلاد. وبها حب البان يحمل منها إلى سائر البلاد. ينظر: القزويني، زكريا بن محمد بن محمود ، آثار البلاد وأخبار العباد الإسلامية، ص١٠١ – ١٠٢ . وكانت ماوى الاوس والخزرج وفيما بعد للمهاجرين معهم. ينظر: الحميري، محمد بن ع المنعم، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق: الدكتور احسان عباس، ط٢، مكتلة لبنان، بيروت، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٤م، ص٦١٧. الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٨٢.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٢٢٣.

الحكومة هو رسـول الله صلى الله عليه وسـلم، ودستور الحكومة هو الكتاب والسنة، وجند الحكومة هم الأنصار والمهاجرون، ومن خلال ذلك سـيصبح للإسـلام دولة. وأسسوا دولتهم الجديدة المستقلة تحت راية الإسلام دون تدخل من الرسول الكريم صـلى الله عليه وسـلم ومـن معه مـن المؤمنـين فكانت بحق أسـمى أنـواع الحريات المتكاملـة للأنصار في اختيار ممثليهم، وجلس الأنصـار معًا يجرون عملية الانتخاب، ثم آمنوا، فتغير حالهم .

فبعـد برهة من الزمـن انتخب الأنصار نوابهـم، وتـم الانتخاب بنسـبة التمثيل في البيعة، فكان الخزرج يمثلون خمسة وسبعين في المائة من المبايعين، وكذلك كان نوابهم يمثلون خمسة وسبعين بالمائة من النواب.

ونقباء الخزرج هم:

١- أسـعد بـن زرارة رضى الله عنه، وهو من أوائل المسـلمين مـن الأنصار، وهو الذي جعله الله عز وجل سببًا في إسلام معظم الأنصار.[١]

٢- البراء بن معرور رضي الله عنه.[٢]

٣- عبد الله بن عمرو بن حرام رضى الله عنه وهو من شهداء أحد.[٣]

ولنـا وقفة مهمة مع هذين الاسـمين، فهما وإن كانا حديثي الإسـلام، إلا أنهما من

(١) الآلـوسي، محمود شـكري البغدادي، بلـوغ الارب في معرفة احوال العـرب، راجعه: محمد بهجـة الاثـري، ط٣، يـدار الكتاب العربي، مـصر، ١٣٤٢هــ/ ١٩٢٣م، ج١، ص٢٨٨. ابن حـزم جمهـرة انسـاب العـرب، ج٢، ص٣٤٩. ابـن قدامة، الاسـتبصار، ص٥٦. القلقشـندي، ابـو العبـاس احمد بن علي بن احمد الفـزاري، نهاية الارب في معرفة انسـاب العرب، دار المعرفة، بـيروت، {ب. ت}، ص٧٩.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٢٣. ابن الجوزي، المنتظم، ج٣، ٣٨. الطبري، تاريخ الرسل، ج٢، ص٣٦٥.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل، ج٢، ص٣٦١.

سادة الخزرج سابقًا، والإسلام يحفظ للناس مكانتهم ووضعهم، ولم يقل لهما أحد إنكما لا تعرفان ما نعرف، بل وجد الأنصار في البراء بن معرور وعبد الله بن حرام -إلى جانب مهارتها القيادية- فِقْهَ الأنصار السابقين إلى جانب الوضع الاجتماعي والمكانة المرموقة لقواد يثرب القدماء. وهكذا لا ينتقص الإسلام من قدر أحد بل يحافظ عليه ويستفيد منه.

٤- سعد بن عبادة رضى الله عنه وهو أيضًا من سادات الخزرج المشهورين.(١)

٥- عبادة بن الصامت رضى الله عنه الصحابي الجليل المشهور.(٢)

٦- سعد بن الربيع من أكابر الصحابة وأفضلهم، وهو من شهداء أحد.(٣)

٧- عبد الله بن رواحة رضى الله عنه الصحابي المشهور الشاعر الشهيد، وهو من شهداء مؤتة.(٤)

٨- رافع بن مالك رضى الله عنه، وهو الذي كان يقول: ما أحب أني شهدت بدرًا ولم أشهد العقبة. وحجته في ذلك أنه لولا العقبة ما كانت بدر ولا غيرها (٥).

٩- المنذر بن عمرو رضي الله عنه، وهو من شهداء يوم بئر معونة.

هؤلاء هم نقباء الخزرج.(٦)

---

(١) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ج٢، ص٢٦٥. السمعاني، الانساب، ج٢، ص٣٦٠.

(٢) ابن قدامة، الاستبصار، ص١٨٨. السمعاني، الانساب، ج٤، ص٥٥٩. ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ج٢، ص٣٥٤.

(٣) ابن حزم، المصدر ذاته، ٣٦٤.

(٤) المصدر ذاته، ص٣٦٣. القرطبي، التعريف في الانساب، ص١٥٦.

(٥) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٨٥. القرطبي، احمد بن محمد بن ابراهيم الاشعري، التعريف في الانساب والتنويه لذوي الاحساب: حققه: الدكتور سعيد عبد المقصود ظلوم، دار المنار، ١٤٣١هـ/ ١٩٩٠م، ص١٦٠.

(٦) ابن عبد البر، الدرر في اختصار المغازي والسير-ابن عبد البر، ص٢٣وما بعدها.

أما نقباء الأوس:

١ - أسيد بن حضير رضى الله عنه، الصحابي الجليل ومن أوائل الذين أسلموا من الأوس.[١]

٢- سعد بن خيثمة رضى الله عنه، وقد استشهد رضى الله عنه في بدر.[٢]

٣- أبـو الهيثـم بن التيهـان رضى الله عنه، وقيل بدلاً منه: رفاعـة بن عبد المنذر.[٣]

بيـد ان سـعد بن معاذ رضى الله عنه الذي لم يسـتطع أن يحـضر هذه المباحثات وهذه البيعة في مكة.

وبعـد هذا الانتخاب الحر عقد رسـول الله صلى الله عليه وسـلم اجتماعًا مهمًّا على مستوى القمة مع هؤلاء النواب وقال لهم في هذا الاجتماع: "أَنْتُمْ عَلَى قَوْمِكُمْ بِمَا فِيهِمْ كُفَلاءُ كَكَفَالَةِ الْحَوَارِيِّينَ لِعِيسَى بِنْ مَرْيَمَ، وَأَنَا كَفِيلٌ عَلَى قَوْمِي". يعني المسلمين من أهل مكة. فقالوا: نعم. (كما مرَّ اعلاه).

وبهذا اسـتطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدير الأمور بكفاءة، ولم يكتف بذلـك بل طلب من نقبـاء المدينة أن يختاروا واحدًا منهم يكـون بمنزلة نقيب النقباء، فاختاروا أصغرهم، وهو أسـعد بن زرارة رضي الله عنه . وواضح أنه شاب موهوب صاحـب ملـكات فـذة أهلته لهـذا المنصب الرفيع، كما لم يعفِ رسـول صـلى الله عليه وسـلم نفسه من المسئولية، فجعل نفسه كفيلاً على المسلمين من أهل مكة، بمعنى أنه يتحمل أعمال هؤلاء، ويتكفل بأمورهم أمام الأنصار.[٤]

---

(١) الكلبي، جمهرة النسب، ج٣، ص٦٣٤. ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ج٢، ٣٣٩.

(٢) ابن حزم، المصدر ذاته، ص٣٤٥.

(٣) الكلبي، مصدر سابق، ص٦٣٧.

(٤) ابن سـعد، الطبقـات الكبرى، ج٨، ص١١. ابن حجر العسـقلاني، ج٣، ص١٦٣. الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١، ص٣٠٢.

وهكذا انتهت مراسـم البيعة بنجاح، بل نجحت نجاحًا ما كان أحد يتخيله. كل هذا النجاح يتم في عقر دار المشركين، ووسط الأعداد الهائلة من أعداء الله عز وجل، وصدق الله عز وجل إذ يقول: {إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ} [الحج: ٣٨].

كان قُرابة السبعين من هؤلاء (أي تقريبًا معظمهم)، اشترك في غزوة بدر الكبرى. وحـوالي نصـف العدد قد اشـترك مع الرسـول صلى الله عليه وسـلم في كل المشـاهد والغزوات. حوالي الثلث مات شـهيدًا في سـبيل الله. وأربعون بالمائة من النقباء ماتوا شـهداء في سبيل الله (خمسـة من اثني عشر) مما يدل على أنهم كانوا ينظرون إلى القيادة عـلى أنهـا مسـئولية، لا مجرد تشريـف أو منصـب. و لم يُؤْثَر عن أي واحـد من هؤلاء الفـرار لا في (أُحُـد) ولا في (حُنَـين) ولا في غيرهما. ولم يؤثر عن أي واحد من هؤلاء طلـب للدنيـا ولا للإمـارة ولا للـمال، وعندما وزع رسـول الله صلى الله عليه وسـلم الأمـوال الكثيرة على المسـلمين في حُنين وخاصـة المؤلفة قلوبهـم، ولم يأخذ الأنصار شـيئًا، قال لهم رسـول الله صلى الله عليه وسـلم: "أَلاَ تَرْضَـوْنَ يَا مَعْـشَرَ الأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ اللَّهِ إِلى رِحَالِكُمْ" فبكى الأنصار حتى أَخْضَلُوا لِحَاهُم، وقالوا: رضينا برسول الله قسمًا وحظًّا.[1]

أصبح الصدق الكامل في قلب الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي قلوب الأنصار المبايعين في هذه البيعة هو الذي كفل النجاح لهذه البيعة التاريخية المباركة، ولولا ذلك ما تمت وما اكتملت، {لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ}.[2]

إنهم صدقوا الله فصدقهم الله عز وجل . ومرت الأحداث بسلام، ووصل الأنصار إلى المدينـة وبـدءوا يمهـدون الوضع هناك لاسـتقبال قائد الإنسـانية الجديد، وخاتم

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٤٩٨-٥٠٠.
(٢) الأحزاب: ٢٤.

المرسـلين محمد صلى الله عليه وسـلم؛ وليستعدوا جميعًا لوضع النواة الأولى للعاصمة الأولى في الإسـلام (المدينـة المنورة)، لتصبـح بعد امة من الزمن نبراسـاً لكل الناس، وهدى ورحمة للعالمين الذين مالبثوا ان اعتنقوا هذه المباديء واغترفوا من سـيلها الثر الازلي وبعض شـهادة اولئك تطرق لها الباحث في المبحث التالي(أي الخامس)، باذنه تعالى وتبارك.



المبحث الخامس

شهادة أهل الغرب بعظمة سيرة

محمد صلى الله عليه وسلم

لقد خص الله سبحانه وتعالى النبي محمد صلى الله عليه وسلم قيادة العالم بأسره فقال جلت قدرته: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧)، وأصبح سيدا وقائدا ومفكرا ذاع صيته وقويت مكانته وتأثرت بعقله وعقيدته عقول القياصرة وأكاسرة الفرس، وبات رمزاً دينياً وثقافياً للأمم الدنيوية بأسرها، الأمر الذي حدا بعقول الغرب إن تهتف بمجده وتُخلِد سيرته عبر الزمن، وأمته قد اقتفت أثره وتواترت في السير قُدُما لإحياء سيرته المعطاء لكل زمان ومكان بدون شك .

أرادت الثقافة العالمية أن تقف على نهجه صلى الله عليه وسلم والوقوف على سر نجاح المسلمين وبسالتهم وصمودهم وسرعة فتوحاتهم، وبعد امة من الزمن استطاعت هذه الثقافة الوصول والإمساك بمفتاح السر بوساطة مفكريها وأهل الفلسفة والمنطق والعلم العقلي النيّر، وقد أورد الباحث نماذج عدة لبعض المفكرين الذين يُعدون الحجر الأساس للثقافة الغربية والعالمية على حدٍ سواءٍ والذين يدينون في تطورهم وإنجازاتهم الحضارية إلى امة الإسلام وما أفرزته من علوم وعلماء في ميادين الحياة كافة.[1]

---

(١) هونكه، سيغريد(مستشرقة ألمانية)، شمس العرب تسطع على الغرب»اثر الحضارة العربية في أوروبة « ،نقله عن الألمانية: فاروق بَيضُون وكمال دسُوقي، راجعه ووضع حواشيه: مارون عيسى الخوري، منشورات التجاري للطباعة والتوزيع والنشر،ط٢، ١٩٦٩م،ص١٢ .بروفنسال، ليفي، حضارة العرب في الاندلس،تر: ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت – لبنان،{ب.ت}،ص٦١ وما بعدها.

قدم المفكرون والفلاسفة وأساتذة الجامعات بالغرب شهادات تدل على عظمة محمد صلى الله عليه وسلم وسجلوا شهاداتهم هذه في مقالاتهم وكتبهم، ومن هؤلاء: مايكل هارت يقول: "إن اختياري محمداً ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح علي المستويين: الديني والدنيوي... فهناك رسل وأنبياء وحكماء بدأوا رسالات عظيمة ولكنهم ماتوا دون إتمامها كالمسيح في المسيحية أو شاركهم فيها غيرهم أو سبقهم إليهم سواهم كموسي في اليهودية، ولكن محمداً هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينية وتحددت أحكامها وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته ولأنه أقام بجانب الدين دولة جديدة فإنه في هذا المجال الدنيوي أيضا وحد القبائل في شعب والشعوب في أمة، ووضع لها كل أسس حياتها، ورسم أمور دنياها، ووضعها في موضع الانطلاق إلي العالم، فهو الذي بدأ الرسالة الدينية والدنيوية وأتمها».[1].

بيد ان وول ديورانت يقول: «إذا ما حكمنا علي العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس قلنا إن محمداً كان من أعظم عظماء التاريخ؛ فلقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوي الروحي والأخلاقي لشعب ألقت به في دياجير الهمجية حرارة الجو وجدب الصحراء، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحاً لم يدانه فيه أي مصلح آخر في التاريخ كله، وقل أن نجد إنساناً غيره حقق ما كان يحلم به، ولم يكن ذلك لأنه هو نفسه كان شديد التمسك بالدين فقط، بل لأنه لم يكن ثمة قوة غير قوة الدين تدفع العرب في أيامه إلي سلوك ذلك الطريق الذي سلكوه، وكانت بلاد العربي لما بدأ الدعوة صحراء جدباء تسكنها قبائل من عبدة الأوثان قليل عددها، متفرقة كلمتها، وكانت عند وفاته أمة موحدة متماسكة، وقد كبح جماح التعصب والخرافات، وأقام فوق

(١) لامارتين ،تاريخ تركيا، باريس، الجزء ١١، ١٨٥٤، ص ٢٧٦-٢٧٧.

اليهودية والمسيحية ودين بلاده القديم ديناً سهلاً واضحاً قوياً، وصرحاً خلقياً قوامه البسالة والعزة واستطاع في جيل واحد أن ينتصر في مائة معركة، وفي قرن واحد أن ينشيء دولة عظيمة وأن يبقي إلي يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم في نصف العالم(١).

بينما كان أعجاب "لامارتين" الشاعر الفرنسي الشهير بـ «محمد» صلى الله عليه وسلم كبيرا فقال: "من ذا الذي يجرؤ من الناحية البشرية علي تشبيه رجل من رجال التاريخ بمحمد؟ ومن هو الرجل الذي ظهر أعظم منه عند النظر إلي جميع المقاييس التي تقاس بها عظمة الإنسان؟! فأعظم حب في حياتي هو أنني درست حياة محمد دراسة وافية، وأدركت ما فيها من عظمة وخلود».

ويضيف لامارتين مستطرقا: "أي رجل أدرك من العظمة الإنسانية مثلما أدركه محمد؟! وأي إنسان بلغ؟ لقد هدم المعتقدات الباطلة التي تتخذ واسطة بين الخالق والمخلوق وإذا كانت الضوابط التي نقيس بها عبقرية الإنسان هي سمو الغاية والنتائج المذهلة لذلك رغم قلة الوسيلة. فمن ذا الذي يجرؤ أن يقارن أيا من عظماء التاريخ الحديث بمحمد في عبقريته؟، هؤلاء المشاهير قد صنعوا الأسلحة وسنوا القوانين وأقاموا الإمبراطوريات فلم يجنوا إلا أمجاداً بالية لم تلبث أن تحطمت بين ظهرانيهم... لكن هذا الرجل "محمدا" لم يقدم الجيوش ويسن التشريعات ويقم الإمبراطوريات ويحكم الشعوب ويروض الحكام فقط، وإنما قاد الملايين من الناس فيما كان يعد ثلث العالم حينذاك، ليس هذا فقط، بل إنه قضى على الأنصاب والأزلام والأديان والأفكار والمعتقدات الباطلة... لقد صبر محمد وتجلد حتى نال النصر وكان طموحه موجهاً إلي هدف واحد، فلم يطمح إلي تكوين إمبراطورية أو ما إلي ذلك، حتى صلاته الدائمة ومناجاته لربه ووفاته وانتصاره حتى بعد موته كل ذلك لا يدل

---

(١) ديورانت، ول، قصة الحضارة-الشرق الاقصى، ترجمة: محمد بدران، المجلد الاول، ج٤، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر،] ب.ت [.

على الغش والخداع بل يدل على اليقين الصادق».

ولم يخرج الفيلسوف الإنجليزي "برناردشو" عن تلك الحقائق فقد أكد أن محمد صلى الله عليه وسلم هو منقذ البشرية فقال: "إن رجال الدين في القرون الوسطي ونتيجة للجهل أو التعصب قد رسموا لدين محمد صورة قاتمة، لقد كانوا يعتبرونه عدواً للمسيحية، لكنني أطلعت علي أمر هذا الرجل، فوجدته أعجوبة خارقة، وتوصلت إلي أنه لم يكن عدواً للمسيحية، بل يجب أن يُسمي منقذ البشرية، وفي رأيي أنه لو تولي أمر العالم اليوم لوفق في حل مشكلاتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها.. إن العالم أحوج ما يكون إلي رجل في تفكير محمد. هذا النبي الذي وضع دينه دائماً موضع الاحترام والإجلال فإنه أقوي دين علي هضم جميع المدنيات، خالد خلود الأبد، وإني أري كثيراً من بني قومي قد دخلوا هذا الدين علي بينة. وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة "يعني أوروبا».

وفي الصدد ذاته قال الكاتب والأديب البريطاني المعروف "هربرت جورج ولز" في كتاب "معالم تأريخ الإنسانية": "كل دين لا يسير مع المدنية فاضرب به عرض الحائط، ولم أجد دينا يسير مع المدينة أنى سارت سوى دين الإسلام».

أما العالم السويسري المعاصر د. هانز كونج والذي يعتقد أن المسيح إنسان ورسول فحسب يقول: «محمد نبي حقيقي بمعنى الكلمة، ولا يمكننا بعد إنكار أن محمدًا هو المرشد القائد على طريق النجاة».

ويعبر مهاتما غاندي عن صفات الرسول صلى الله عليه وسلم وأدواته في نشر الرسالة فقال: "أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر... لقد أصبحت مقتنعاً كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول مع دقته وصدقه في الوعود، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه وفي

رسالته. هذه الصفات هي التي مهدت الطريق وتخطت المصاعب وليس السيف، بعد انتهائي من قراءة الجزء الثاني من حياة الرسول وجدت نفسي آسفاً لعدم وجود المزيد للتعرف أكثر من حياته العظيمة". وقال: «لا نعرف إلا شذرات عن حياة المسيح، أما في سيرة محمد فنعرف الشيء الكثير ونجد التاريخ بدل الظلال والغموض» .

ويسند المستشرق هيل في كتابه (حضارة العرب) رأي غاندي فيقول: " لقد أخرج محمد للوجود أمة، ومكن لعبادة الله في الأرض، ووضع أسس العدالة والمساواة الاجتماعية، وأحل النظام والتناسق والطاعة والعزة في أقوام لا تعرف غير الفوضى».[1]

ويقول المستشرق الأسباني جان ليك في كتابه (العرب): " لا يمكن أن توصف حياة محمد بأحسن مما وصفها الله بقوله: ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ))، كان محمد رحمة حقيقية، وإني أصلي عليه بلهفة وشوق».

ويقول المؤرخ كريستوفر دارسون في كتابه (قواعد الحركة في تاريخ العالم): " إن الأوضاع العالمية تغيرت تغيراً مفاجئًا بفعل فرد واحد ظهر في التاريخ هو محمد».

ويقول العلامة شيريل، عميد كلية الحقوق بفيينا :" إن البشرية لتفتخر بإنتساب رجل كمحمد إليها» .

ويقول الباحث الفرنسي كليمان هوارت: " لم يكن محمداً نبيًا عاديًا، بل استحق بجدارة أن يكون خاتم الأنبياء لأنه قابل كل الصعاب التي قابلت كل الأنبياء الذين سبقوه مضاعفة من بني قومه، نبي ليس عاديًا من يقسم أنه " لو سرقت فاطمة ابنته لقطع يدها" ! ولو أن المسلمين اتخذوا رسولهم قدوة في نشر الدعوة لأصبح العالم مسلماً». مما ميز حياة الرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم أن حياته وسيرته وشمائله

(١) ي،هيل، الحضارة العربية،سلسلة الالف كتاب(٨٨) تر: الدكتور ابراهيم احمد العدوي، راجعه: الدكتور حسين مؤنس، مكتبة الانجلو المصرية،{ب.ت}،ص٦٥.

كلهـا قـد حفظها لنـا التاريخ، فليـس ثمة غمـوض في أي ناحية من حياته وسـيرته، وقـد اعترف بهذه الحقيقة كبار المؤرخين الغربيين، فالمؤرخ البريطاني الشـهير (أرنولد توينبي) يقول: « الذين يريدون أن يدرسـوا السـيرة النبوية العطرة يجدون أمامهم من الأسفار مما لا يتوافر مثله للباحثين في حياة أي نبي من أنبياء الله الكرام"[١].

ويقـول الكونت كاتياني في كتابه (تاريخ الإسـلام): " أليس الرسـول جديرًا بأن تُقدَّم للعالم سيرته حتى لا يطمسها الحاقدون عليه وعلى دعوته التي جاء بها لينشر في العالم الحب والسـلام؟! وإن الوثائق الحقيقية التي بين أيدينا عن رسـول الإسلام ندر أن نجد مثلها فتاريخ عيسى وما ورد في شأنه في الإنجيل لا يشفي الغليل».

ويقول المسـتشرق غوسـتاف لوبون: " نعـرف ما فيه الكفاية عن حيـاة محمد، أما حياة المسيح فمجهولة تقريباً، وإنك لن تطمع أن تبحث عن حياته في الأناجيل».

وأشـاد المؤرخ "آدم متز" بتسـامح الرسـول الكريم مع غير المسـلمين في المجتمع الإسـلامي مما لم يكن معروفا في أوروبا مما أدى إلى رقي الحضارة والعلم فقال: "كان وجود النصارى بين المسـلمين سببا لظهور مبادئ التسامح التي ينادي بها المصلحون المحدثـون، وكانـت هناك الحاجة إلى المعيشـة المشـتركة وما ينبغي أن يكـون فيها من وفـاق ممـا أوجد مـن أول الأمر نوعا من التسـامح الذي لم يكن معروفـا في أوروبا في العصور الوسطى، ومظهر هذا التسامح نشوء علم مقارنة الأديان».[٢].

وأكد البروفيسـور كي. إس راماكريشـنا رئيس قسـم الفلسـفة بالكلية الحكومية بالهنـد والذي ألف كتابه الشـهير "الإسـلام والعصر الحديـث" أن الكتابة عن محمد

---

(١) توينبـي، ارنولـد، تاريـخ البشرية،ج٢، نقلـه الى العربية: الدكتور نقولا زيـادة، الاهلية للنشر واتوزيع، بيروت،١٩٨٨ م، ص٨١ وما بعدها.

(٢) لوبـون، غوسـتاف، حضـارة العرب، ترجمـة: عادل زعيـتر، ط٣، دار احياء الكتـب العربية، القاهرة، ١٣٧٥هـ-١٩٥٦م، ٥٢٢.

صلي الله عليه وسلم ستغنيه عن الكتابة عن ديانة بأكملها وقال: "شخصية الرسول محمد كانت شخصية مؤهلة لتلقي رسالة سماوية لأنه ترك مُتع الحياة في وقت كانت فيه البيئة المحيطة به تنعم بكل ذلك لابد أنه بشر ليس كسائر البشر فقد استطاع السيطرة علي غرائزه وكبحها ليكون مؤهلا لقدوم الوحي».

الروائي الروسي «تولستوي" الذي أكد في مقالات عديدة أنه أحد المبهورين بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي اختاره الله الواحد لتكون آخر الرسالات علي يديه، وليكون هو أيضا آخر الأنبياء فيقول: "إن محمداً هو مؤسس ورسول. كان من عظماء الرجال الذين خدموا المجتمع الإنساني خدمة جليلة. ويكفيه فخراً أنه أهدي أمة برمتها إلي نور الحق. وجعلها تجنح إلي السكينة والسلام، وتؤثر عيشة الزهد ومنعها من سفك الدماء وتقديم الضحايا البشرية، وفتح لها طريق الرقي والمدنية، وهو عمل عظيم لا يقدم عليه إلا شخص أوتي قوة، ورجل مثله جدير بالاحترام والإجلال».

أضاف "تولستوى": "يكفي محمداً فخراً أنه خلص أمة ذليلة دموية من مخالب شياطين العادات الذميمة، وفتح علي وجوههم طريق الرقي والتقدم. وأن شريعة محمد ستسود العالم لانسجامها مع العقل والحكمة». (1)

وقال "جوته" شاعر ألمانيا الشهير معجباً بالقرآن و النبي "محمد" صلى الله عليه وسلم: "كلما قرأت القرآن شعرت أن روحي تهتز داخل جسمي، فهو كتاب الكتب وإني أعتقد هذا كما يعتقده كل مسلم فلم يعتر القرآن أي تبديل أو تحريف، وعندما تستمع إلي آياته تأخذك رجفة الإعجاب والحب، وبعد أن تتوغل في دراسة روح

---

(1) وهو الكونت ليو تولستوي روائي وفيلسوف اخلاقي ومصلح اجتماعي روسي. ينظر: موسوعة تراجم لاشهر الاعلام العرب والاجانب القدامى والمحدثين مستقاة من» موسوعة المورد»،دار العلم للملايين»مؤسسة ثقافية للتاليف والترجمة والنشر»، ط١،بيروت، لبنان،١٩٩٢م ص١٤٦-١٤٧.

التشريع فيه لا يسـعك إلا أن تعظم هذا الكتاب العلوي وتقدسـه، وظني أن التشريع في الغـرب ناقص بالنسـبة للتعاليم الإسـلامية، وإننا أهل أوروبـا بجميع مفاهيمنا لم نصل بعد إلي ما وصل إليه محمد، وسـوف لا يتقدم عليه أحد، وقد بحثت في التاريخ عن مثل أعلي لهذا الإنسان فوجدته في النبي العربي محمد».

وقـال "كارل ماركس": "هذا النبي افتتح برسـالته عـصراً للعلم والنور والمعرفة حري أن تدون أقواله وأفعاله بطريقة علمية خاصة، وبما أن هذه التعاليم التي قام بها هي وحي فقد كان عليه أن يمحو ما كان متراكماً من الرسـالات السـابقة من التبديل والتحوير، إن محمداً أعظم عظماء العالم. والدين الذي جاء به أكمل الأديان».

وقـال تومـاس كارليـل في كتابـه "الأبطـال وعبادة البطـل": إن العـار أن يصغي الإنسـان المتمدن مـن أبناء هذا الجيـل إلي وهـم القائلين أن دين الإسـلام دين كذب، وأن محمداً لم يكن علي حق، لقد آن لنا أن نحارب هذه الادعاءات السخيفة المخجلة؛ فالرسالة التي دعا إليها هذا النبي ظلت سراجاً منيراً أربعة عشر قرناً من الزمن لملايين كثـيرة من النـاس، فهل من المعقـول أن تكون هذه الرسـالة التي عاشـت عليها هذه الملايـين وماتت أكذوبة كاذب أو خديعة مخادع؟! ولو أن الكذب والتضليل يروجان عند الخلق هذا الرواج الكبير لأصبحت الحياة سـخفاً وعبثاً، وكان الأجدر بها أن لا توجـد... إن الرجـل الكاذب لا يسـتطيع أن يبني بيتاً من الطـوب لجهله بخصائص البنـاء، وإذا بنـاه فما ذلك الذي يبنيه إلا كومة من أخلاط هـذه المواد، فما بالك بالذي يبنـي بيتاً دعائمه هذه القرون العديدة وتسـكنه مئـات الملايين من الناس، وعلي ذلك فمـن الخطـأ أن نعد محمداً كاذبـاً متصنعاً متذرعـاً بالحيل والوسـائل لغاية أو مطمع، فما الرسـالة التي أداهـا إلا الصدق والحق وما كلمته إلا صـوت حق صادر من العالم المجهول وما هو إلا شهاب أضاء العالم أجمع... ذلك أمر الله و"إن طبيعة محمد الدينية تدهـش كل باحـث مدقـق نزيه المقصد بما يتجلي فيها من شـدة الإخـلاص، فقد كان

محمد مصلحاً دينياً ذا عقيدة راسخة».

حقا، ستظل سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم سيرة عطرة، ينهل منها الناهلون ويهدى الله بها الحائرين، ويتمسك بها أولو الألباب، فهي الطريق السليم والمنهاج القويم لمن أراد الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، فصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تُعَدُ السيرة النبوية مصدراً مهماً متجددا للفكر الإسلامي الذي يُعَبِّر بصدق عن روح القرآن الكريم وشريعته المترامية الأطراف، وعن المواعظ والعبر والمقاصد التي تخص الإنسانية جمعاء ، لأنها كما هو معلوم تجسيداً للقيم الإسلامية الحقيقية، وتلقي ألضوء على أمور عدة قد يحتاجها القاضي والفقيه والباحث لمعرفة الغايات التي أشار إليها القرآن الكريم. فضلا عن ذلك فإن لدراسة السيرة النبوية تزيد من إثارة المشاعر النبيلة التي تكمن وتخيم في روحية المسلمين كلهم وتحفزهم للاحتفاظ بالقيم العليا التي نادى بها الرسول الكريم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وتمنع الأفكار التي تسود بعض الأمم الراغبة للنيل بعقيدة المسلمين[1]، فهي إذن مضاد حيوي وفكري وجدار ذو قوة وصلابة تحصنهم من عاديات الزمن الحاقدة المترصدة في كل حين وآخر .

لم تكتفِ هذه السيرة الشريفة على هذا الأمر بل استقطبت أفكار العلماء والمفكرين والساسة لتلك الأمم فبدلا من أن يقضوا على خيوطها الذهبية النابتة في بطون التواريخ الخالدة فإنهم قد آمنوا بها واستطعموها وصدقوها لاعن كره أو خوف (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (البقرة:٢٥٦) بل عن

(١) فوزي، فاروق عمر، الاستشراق والتاريخ الإسلامي (القرون الإسلامية الأولى)، منشورات الأهلية، لبنان،١٩٩٨،ص ٥١ وما بعدها.

طريـق البحـث والتمحيص والعلم (... إِنَّمَا يَخْشَـى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَـاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) (فاطر:٢٨) . وان خير الأمثلة على ذلك تلك الشهادات التي يعتز بها التاريخ مهما اتسع أو طال قد أشادت بها هذه الدراسة من قبل بعض العلماء والأعلام العالميين كما مرّ في أعلاه.



الخاتمة والاستنتاجات

الخاتمة

ظهرت هنالك نتائج عدة في هذه الدراسة منها ما يتعلق في سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم التي تُعَدُ بحق نقطة تحول في تاريخ البشر قاطبة، فكانت وما زالت نبراسا صادقا انبثق من خلالها الشعاع الحضاري الذي أنار الطريق للمسلمين خاصة وللعالمين عامة .

أما ما يتعلق في سيرة أصحابه صلى الله عليه وسلم التي واكبت نشر دعوته المباركة فإنها أخذت على عاتقها نشر الدين الإسلامي والتفاني من اجل إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى، وكان لها ذلك وأذهلت الأمم، وتركت فيهم أثرا طيبا الأمر الذي جعل منها أن تقتدي بسيرتهم وتتخذ منها سبيلا للنجاة، وكان هذا واضحا من خلال تأثرهم اللا مقطوع بها وبالتالي الانخراط والدخول بل والتمسك بالنهج الإسلامي والإقتداء بتلك السيرة . على أن لا يُنسى دور النقباء الأنصار من الأوس والخزرج الذين كانوا سباقين لنصرة دين محمد صلى الله عليه وسلم الذي زرع فيهم الصدق والأمانة والمؤاخاة وألف بين قلوبهم ووهبهم الحرية المطلقة لإدارة شؤونهم العامة والخاصة على حدٍ سواءٍ، بعد إن كانت الضغائن والفتن تحول بينهم وبين حياتهم على مدار الساعة. ظهرت آراء وشهادات من علماء ومفكرين تُشيد بتلك السيرة وتُعِدُها رمزا يَنبغي على كل إنسان أن يقتدي فيها ويتخذها منهجا ومعيارا ثابتا في الحياة لأنها السيرة الحق التي وعد بها الخالق سبحانه وتعالى وإنها كذلك أداة للنجاة في الآخرة.

الاستنتاجات

١ – خص الله سبحانه وتعالى النبي محمد صلى الله عليه وسلم دون غيره من الأنبياء لقيادة العالم بأسره، وأصبح سيدا وقائدا ومفكرا ذاع صيته وقويت مكانته وتأثرت بعقله وعقيدته عقول القياصرة وأكاسرة الفرس .

٢ – تميزت سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم بوضوحها وإنسانيتها وبساطتها وشموليتها.

٣ – إن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم هم خير القرون، وأفضل الأمة، وأكملُ المؤمنين، اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم فرضي عنهم ورضوا، وساروا على نهجه صلى الله عليه وسلم، وثبتوا عليه.

٤ – استطاعت الثقافة العالمية أن تقف على نهجه صلى الله عليه وسلم والوقوف على سر نجاح المسلمين وبسالتهم وصمودهم وسرعة فتوحاتهم، بوساطة مفكريها وأهل الفلسفة والمنطق والعلم العقلي .

٥ – قدم المفكرون والفلاسفة وأساتذة الجامعات بالغرب شهادات تدل على عظمة محمد صلى الله عليه وسلم وسجلوا شهاداتهم هذه في مقالاتهم وكتبهم.

٦ – تبين بان السيرة النبوية مصدراً مهماً متجددا للفكر الإسلامي الذي يُعَبِّر بصدق عن روح القرآن الكريم وشريعته المترامية الأطراف، وعن المواعظ والعبر والمقاصد التي تخص الإنسانية جمعاء.

٧ – فهي الطريق السليم والمنهاج القويم لمن أراد الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، فصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

٨ – إن السيرة النبوية تزيد من إثارة المشاعر النبيلة التي تكمن وتخيم في روحية المسلمين كلهم وتحفزهم للاحتفاظ بالقيم العليا التي نادى بها الرسول الكريم محمد

بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

٩ - إنها تمنع الأفكار التي تسود بعض الأمم الراغبة للنيل بعقيدة المسلمين .

١٠ - إن الإسلام بقيادة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم يُعَدُ أول من شرّع للفرد الحرية المطلقة، وكما تسمى بالمصطلح السياسي الغربي او العالمي بـ (الديمقراطية)، أي حكم الشعب بالشعب واختيار ممثليهم بأنفسهم، وقد جسد ذلك الإسلام في قبيلتي الأوس والخزرج لاختيار مَنْ يمثلهم دون تدخل من قبل القائد العام المتمثل في شخص الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ودون تدخل احد من أتباعه المؤمنين.

١١ - إنها كانت وما زالت وستبقى تستقطب أفكار العلماء والمفكرين والساسة لأمم الأرض قاطبة الذين درسوها وفهموا نهجها وفرضت عليهم الأمانة العلمية أن يُصدقوها ويستطعموها و يؤمنوا بها .

❊ ❊ ❊

المصـــادر

- القرآن الكريم .

١. ابن سـعد، محمد بن منيع ابو عبدالله البصري الزهري (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، { ب . ت }.

٢. ابـن الجوزي، ابو الفـرج عبد الرحمن بن علي بن محمد(ت ٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريـخ الملوك والامم، دراسـة وتحقيق: محمد عبد القادر عطـا و مصطفى عبد القادر عطـا، راجعـه وصححـه: نعيـم زرزور، دار الكتب العلميـة، بيروت، لبنـان، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٣. ابن حجراحمد بن علي ابو الفضل العسـقلاني الشـافعي(٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، الاصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـم ١٩٩٢م.

٤. ابـن حـزم، ابـو محمد عـلي بن احمـد بـن سـعيد(٤٥٦هــ/ ١٠٦٣م)، جمهرة انسـاب العرب، راجعهـا وضبطها: عبد المنعـم خليل ابراهيـم، دار الكتب العلمية، بيروت١٤٣٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٥. ابن حنبل، احمد بن محمد بن هلال بن ادريس الشيباني(٢٤١هـ/ ٨٧٩م)،مسند الامام احمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، القاهرة، {ب.ت} .

٦. ابن عبد البر، ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم النمري(٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)، الـدرر في اختصـار المغـازي والسـير، تحقيـق: الدكتور شـوقي ضيف، ط١١، جمعية احياء التراث الاسلامي، القاهرة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

٧. ابن قدامة، موفق الدين عبد الله المقدسي (ت ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م)، الاستبصار في معرفة الصحابة الانصار، تحقيق: علي نويهض، دار الفكر، بيروت، { ب. ت }.

٨. ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل القرشي الدمشقي(٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، البداية والنهاية، ط٦، مكتبة المعارف، بيروت، { ب. ت }.

٩. ابن منظور، محمد بن مكرم المصري الافريقي(ت٧١١هـ/ ١٣١١م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، { ب . ت }.

١٠. ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا(وآخرون)، مطبعة مصطفى البابي، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.

١١. ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، المجلد الأولج١ تحقيق: مجدي فتحي السيدإشراف: الدكتور فتحي أنور الدابولي، الناشر: دار الصحابة للتراث بطنطا للنشر والتحقيق والتوزيعط١، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

١٢. ابو داود، سليمان بن الاشعث السجستاني الازدي(٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)، سنن أبو داود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، لبنان، {ب.ت}.

١٣. الاصبهاني، ابو نعيم احمد بن عبدالله، حلية الأولياء وطبقات الاصفياء، ط٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٢م.

١٤. الاصبهاني، ابو نعيم احمد بن عبدالله، دلائل النبوة، مكتبة النهضة، بغداد، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.

١٥. ألخوري، منشورات التجاري للطباعة والتوزيع والنشرط٢، ١٩٦٩م.

١٦. ألمطلبيأبو عبد الله محمد بن إسحاق بن يسار، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ،ج٢، حقق أصلها: محمد محي الدين عبد الحميد، الناش: مكتبة محمد علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر بمصر، مطبعة المدني ٦٨ – شارع العباسية – القاهرة، ١٣٩١هـ ١٩٧١م.

١٧. الآلوسي، محمود شكري البغدادي، بلوغ الارب في معرفة احوال العرب، راجعه: محمد بهجة الاثري، ط٣، يدار الكتاب العربي، مصر، ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م

.

١٨ .الاندلسي،ابو محمدعبدالحق بن غالب بن عطية(ت٥٤٦هـ/ ١١٥١م)،شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد، دار الكتب العلمية، بيروت١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

بروفنسال، ليفي، حضارة العرب في الأندلس، تر: ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياةبيروت – لبنان،{ب.ت} .

١٩ . الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي(٢٩٧هـ/ ٩٠٩م)، الجامع الصحيح(سنن الترمذي)، تحقيق: احمد محمد شاكرواخرون، دار احياء التراث العربي، بيروت، {ب.ت}.

٢٠ . توينبي، ارنولد، تاريخ البشريةج٢، نقله إلى العربية: الدكتور نقولا زيادة، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت١٩٨٨م.

٢١ . حمزة عبد اللطيف، الإعلام في صدر الإسلامط٢، دار الفكر العربي .

٢٢ . الحموي، ياقوت ابو عبدالله(ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، {ب .ت }.

٢٣ . الحميري، محمد بن ع المنعم، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق: الدكتور احسان عباس، ط٢، مكتلة لبنان، بيروت، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٤م.

٢٤ . الدجيلي،، عبد الصاحب عمرانأعلام العرب في الفنون والعلوم، ط٢مطبعة النعمان النجف ،١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

٢٥ . ديورانت، ول، قصة الحضارة-الشرق الأقصى، ترجمة: محمد بدران، المجلد الأول، ج٤، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، [ب.ت].

٢٦ . الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان(٧٤٨هـ/ ١٢٤٧م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارناؤوط و محمد نعيم العرقسوسي، ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢مس.

٢٧. السمعاني، ابو سعيد عبد الكريم بن محمد التميمي(٥٦٢هـ/ ١١٦٦م)، الأنساب، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، دار الفكر، بيروت١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٢٨. السمهودي، نور الدين علي بن احمد، وفاء الوفاء باخبار دار المصطفى، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العامية، بيروت-لبنان، {ب. ت} .

٢٩. سنن الدارمي .

٣٠. السنن الصغرى.

٣١. سنن النسائي .

٣٢. سنن النسائي الكبرى .

٣٣. سوسه، احمد، العرب واليهود في التأريخ (حقائق تاريخية تُظهرها المكتشفات الآثارية)، وزارة الاعلام، مديرية الثقافة العامة، دار الحرية للطباعة(مطبعة الحكومة)،١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٣٤. صحيح البخاري .

٣٥. الصَّلاَّبيَّ، علي محمد محمد، السيرة النبوية(عرض وقائع وتحليل أحداث / طبعة كاملة في مجلد واحد)،ج١ راجعه لغويا:عادل شوشة، مكتبة فياض للتجارة والتوزيع١٤٢٨هـ،٢٠٠٧م.

٣٦. صَليبا، جميل ،المعجم الفلسفي(بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية)،ج١دار الكتاب اللبنانيبيروتلبنان١٩٨٢ م .

٣٧. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط٥، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

٣٨. علي، سيد أمير، مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلاميط١، تر: رياض رأفت، دار الآفاق العربية، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م .

٣٩. فرشوخ، محمد أمين، موسوعة عباقرة الإسلام في العلم والفكر والأدب والقيادة، ج١، دار الفكر اللبناني، ١٩٩٦م.

٤٠. فوزي، فاروق عمر الاستشراق والتاريخ الإسلامي (القرون الإسلامية الأولى)، منشورات الأهلية، لبنان١٩٩٨ ص٥١ وما بعدها.

٤١. القرطبي ،أبي عبد الله محمد بن احمد الأنصاري، الجامع لأحكام القران،،ج٤، أعاد طبعه دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م .

٤٢. القرطبي، احمد بن محمد بن ابراهيم الاشعري، التعريف في الانساب والتنويه لذوي الاحساب: حققه: الدكتور سعيد عبد المقصود ظلوم، دار المنار، ١٤٣١هـ/ ١٩٩٠م.

٤٣. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود ، آثار البلاد وأخبار العباد الإسلامية .

٤٤. القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي بن احمد الفزاري، نهاية الارب في معرفة انساب العرب، دار المعرفة، بيروت، {ب. ت }.

٤٥. الكلبي، ابو منذر بن هشام بن محمد بن السائب(ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، جمهرة النسب، تحقيق: الدكتورناجي حسن، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٦٨م.

٤٦. لامارتين ، تاريخ تركيا، باريس، الجزء ١١، ١٨٥٤ .

٤٧. لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، ط٣، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٧٥هـ-١٩٥٦م.

٤٨. مسلم، ابو الحسن بن الحجاج القنشيري النيسابوري، (ت ٢٦١هـ/ ٨٧٤م)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، بيروت، { ب . ت }.

٤٩. مسند ألحميدي.

٥٠. مسند الروباني.

٥١. المعجم الأوسط،.

٥٢. موسوعة تراجم لأشهر الأعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين مستقاة من" موسوعة المورد"،دار العلم للملايين"مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر"، ط١بيروت، لبنان١٩٩٢م .

٥٣. الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي، بيروت، ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م .

٥٤. هونكه، سيغريد(مستشرقة ألمانية)، شمس العرب تسطع على الغرب"اثر الحضارة العربية في أوروبة "،نقله عن الألمانية: فاروق بَيضُون وكمال دسُوقي، راجعه ووضع حواشيه: مارون عيسى، منشورات التجاري للطباعة والتوزيع والنشرط٢، ١٩٦٩م.

٥٥. يهيل، الحضارة العربيةسلسلة الألف كتاب(٨٨) تر: الدكتور إبراهيم احمد ألعدوي، راجعه: الدكتور حسين مؤنس، مكتبة الانجلو المصرية،{ب.ت} .

